المقاصد

دورية ثقافية تصدر عن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت

عدد خاص

٦

دراسات في العلوم الإسلامية

مجلّة محكّمة

تصدرها كلية الدراسات الإسلامية

شتاء وربيع ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م





جامعة المقاصد في بيروت

المقاصد
٦
دراسات في العلوم الإسلامية
شتاء وربيع ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م





العدالة العملية تجاه المسيحيين في عهد العثمانيين

د. محمد خير علي فرج

قرر الأعلام من جهابذة العلم والتحقيق أن استبدال الظلم بالعدل، أحد الشروط المتفق عليها يجب توفرها في الحاكم تجاه أبناء وطنه. كي ينعموا بالحرية الكاملة تعبيراً عن حفظ الذات الإنسانية من أي ظلم أو استبداد أو استبعاد لها عن مسرح الحياة الحقة، بشقيها الدينية والدنيوية، ولذا قال الجويني (٤٧٨هـ): الإمامة ـ رئاسة الدولة ـ رياسة عامة وزعامة تامة تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا. مهمتها حفظ الحوزة ورعاية الرعية، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، استيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها المستحقين[١]. وتابعه الآمدي[٢] (٦٣١هـ)، وابن جماعة[٣] (٧٣٣هـ)، وابن خلدون[٤] (٨٠٨هـ) والجرجاني[٥]

(١) غياث الأمم في التياث الظلم،الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، وضع حواشيه: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥.

(٢) الإمامة من أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، علي بن أبي علي، تحقيق، : محمد الزبيدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٧٧.

(٣) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، تحقيق: د. فؤاد أحمد، قطر: دار الثقافة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٨.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص١٩٣.

(٥) شرح المواقف، الجرجاني، علي بن محمد، مصر: مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ٨/ ٣٤٩.

(٨١٦ هـ) وطاش كبري زاده[١] (٩٦٨هـ). وغيرهم.

وإن قيمة الإنسان تعلو بحفاظه على منطق العدل، ولذا، الإنسان هو الذي يُؤمِّن العدالة، كما قال أفلاطون (٣٤٧ ق.م). والتي هي إحدى الفضائل الأربعة[٢]،حيث تترسخ عندما تكون كل مجموعة أساسية في هيئة روحية[٣]. واللافت أن مسكويه (٤٢١هـ) لا يعتبر العدالة أحد أجزاء الفضيلة بل يعتبرها الفضيلة بكل أقسامها، فقال: وليس العدالة جزءاً من الفضيلة، وإنما هي الفضيلة كلها[٤]. ويبدو أن مسكويه قد أخذ فكرة العدالة عينها عن أرسطو (٣٢١هـ) الذي قال: تعتبر العدالة غالباً على أنها أعظم الفضائل.. بل كل الفضيلة.

فالعدالة هي ممارسة الفضيلة التامة... تعمل على تحقيق ما هو إيجابي للآخر؛ أي: حفظ السعادة عبر الإنسان المطيع للقانون العادل. حيث: أن الحكم يُبيِّن الإنسان العادل[٥].

والجميل أن الفارابي يدخل العدل في طبع الإنسان، وفي الطائفة التي ينتمي إليها بل هي الموجودات الطبيعية، وتحققه يكون بالتغالب؛ أي: استبعاد القاصر المقهور من العدل، وأن يفعل المقهور ما هو الأنفع للقاصر هو عدل، فهذه كلها هي العدل الطبيعي وهي الفضيلة[٦].

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى، بيروت: دار المكتب العلمية، ط١٤٢٢،٣هـ/٢٠٠٢م، ١٠/ ٣٩٠.

(٢) وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة.

(٣) معجم أفلاطون، بيرسون، لوك، ترجمة: منى الشاعر، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م، بيروت: النايا للدراسات والنشر، ص١١٥ رقم ٣٢. وقال: انظر: مدينة ـ فضيلة، وعزا بالمتن للجمهورية.

(٤) تهذيب الأخلاق، مسكويه ص١٧.

(٥) الأخلاق النيقوماخية، أرسطو، ترجمة: د. أبو بكر التلوع، ليبيا: منشورات جامعة الجبل الغربي، ط١، ١٩٩٨م، ص١٢٤ ـ ١٢٥.

(٦) كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، المعلم الثاني أبو نصر، مصر: دار مصر المحروسة، ط ١٤٢٩،٢هـ/٢٠٠٨م، ص٨٦ ـ ٨٧.

وذلك لأن الإنسان مدني بالطبع، مجبول على جلب المنافع، ودفع المضار، ولأن القوة الغضبية والشهوية تؤدي للتقاتل والتناحر فتقضي على التمدن والاجتماع وعمارة المدن، اقتضت الحكمة الإلهية وضع قوانين متعلقة بجميع الأشخاص على العموم بحيث لا يختص بشخص شخص، ولا بطائفة طائفة، بل كل الطوائف والأمم سواسية في هذه السياسة والقانون الجاري بطريق التعادل[١]، القائم على شرف المحبة التي إذا ما انتفت فقِدَ العدل وقَلَّ الظلم لقول مسكويه (٤٢١هـ): ولو كان الناس جميعاً متحابين لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف»[٢].

لقد أحيا الفيلسوف الأمريكي «جون رولز» في تاريخنا المعاصر مفهوم العدالة المفقودة في واقعنا السياسي والمدني على امتداد الوطن العربي والإسلامي والإنساني، وذلك بكتابيه الأول: «نظرية العدالة»[٣]، والثاني: «العدالة كإنصاف: إعادة صياغة»[٤]، حيث يرى فيهما أن العدل أسبق من الخير الذي تختلف حوله تصورات الناس؛ فلا يجمعها أو يوحدها إلا العدل. وبالإطار السياسي يهدف إلى إيجاد توازنات جديدة بين الحقوق ـ الحريات ـ والواجبات. وبالإطار الفلسفي اعتبرها حقا إنسانيا يكفل الحق ضمن إطار قانوني يسهر على تحقيقها بوجهيها كمساواة وكإنصاف؛ من خلال بيان مقاربات الفيلسوف: الفرنسي «بول ريكور»[٥]، والألماني «يورغن

---

(١) مفتاح السعادة، طاش كيري زاده، ١٢/ ٣٨٠.
(٢) تهذيب الأخلاق، ص١٣٣.
(٣) نظرية في العدالة، رولز، جون، ترجمة: د. ليلى الطويل، سوريا: وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب.
(٤) العدالة كإنصاف، إعادة صياغة، ترجمة: د.حيدر حاج اسماعيل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١٤٣٠،١هـ/٢٠٠٩م. قلت: إن مبادئها شكل من الليبرالية للتوفيق بين متناقضات الحداثة والديمقراطية وبين الحرية والمساواة،إلا أن العدالة التوزيعية عنده تستهدف الفئات الأقل حظاوالأكثر حرمانا في المجتمع، وإحياء ثقة المواطنين في المؤسسات الدستورية، وبعث التضامن في نفوس الأفراد الذين لا يكترثون سوى بأنانياتهم الاستحواذية.
(٥) ولد ريكور عام ١٩١٣م في مدينة (valence) الفرنسية. نشر كتابا عن كارل يا سبرز، وترجم كتاب هوسرل " الأفكار المرشدة"، وطبق منهجه في الفينومينو لوجيا في أطروحة الدكتوراه

هابرماس»[١]، والإيطالي «أنتونيو نغري»[٢]، والكندي «تشارلز تايلور»[٣].

واللافت أن رولز قد أهمل أو لم يتعرض في كتابيه إلى حقيقة النظرية وواقعها على امتداد العصر الوسيط؛ الذي يعني بشكل مباشر عصر الإسلام السياسي والحياتي الفكري والاجتماعي، بدءاً من دولة المدينة في حياة النبي

= "فلسفة الإرادة" عام ١٩٥٠م. قاد الحولر المثلث بين الفكر التأملي الفرنسي والفلسفة الألمانية والفلسفة التحليلية الأنكلوسكسونية. له مؤلفات أهمها: الذات عينها كآخر، الزمن السرد، الاستعارة الحية. انكب على معالجة الشرور الناجمة عن السياسة وفقدان العدالة في المجتمعات الإنسانية. وجه فلسفي فرنسي مهم في القرن العشرين، توفي منذ فترة وجيزة؛ أي: في عام ٢٠٠٨م. مسألة الشر في فلسفة بول ريكور، بيروت، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٨ و٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(١) يورغن هابرماس (بالألمانية: Jürgen Habermas) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر (١٨ ـ ٠٦ ـ ١٩٢٩ دسلدورف) يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ولد في دوسلدورف، ألمانيا وما زال يعيش بألمانيا. يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D9%88%D8%B1%D8%BA%D9%86_%D9%87%D8

(٢) انطونيو نيغري، ولد عام ١٩٣٣م، عالم اجتماع وفيلسوف سياسي إيطالي ماركسي، وهو من أهم المفكرين الماركسيين الداعين للتسيير الذاتي. ألف معظم كتبه عندما كان قابعا بين جدران السجون بسبب مواقفه السياسية. من أشهر مؤلفاته: اسبينوزا، والمبراطورية؛ الذي اشترك فيه مع الباحث النظري والأديب الأمريكي والفيلسوف السياسي" مايكل هارت". بنى رؤيته في العدالة على أن: الفقير بلا موارد هو منبوذ ومسحوق ومستغل لكنه حي. ولذا: فإن مصير تحقيق العدالة والحرية متوقف على قدرة الحشود على ترجمة قوتهم إلى فعل وحركة، وأن الطبقة الثورية هي ضرورة انطولوجية لتحقيق الحياة والنعتاق والقدرة لانتاج السعادة. www.m.ahewar.org
www.aot.org.lb

(٣) تشارلز مارغريف تيلور (بالإنجليزية: Charles Taylor) ولد في ٥ نوفمبر ١٩٣١، فيلسوف كندي من موريال بالكيبيك. يُعدّ أحد أبرز الفلاسفة المعاصرين في مجال الفلسفة السياسية والفلسفة الأخلاقية. تُرجمت أعماله إلى أكثر من عشرين لغة.
أستاذ العلم السياسي والفلسفة في جامعة مكغيل (مونتريال) حيث درَّس منذ ١٩٦١م إلى١٩٩٧م. في عام ٢٠٠٧م، عُيِّن رئيسا، بالاشتراك مع عالم الاجتماع جيرار بوشار، فياللجنة الاستشارية حول التوافقات المتعلقة بالاختلافات الثقافية التي سُمِّيَت لجنة بوشار ـ تيلور.
https: //www.google.com.lb/webhp?sourceid = chrome-instant&ion = 1&espv = 2&ie = UTF-8
#q = %D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%8

محمد ﷺ[١]، وفي فترة الخلافة الراشدة[٢]، وأيضا الدولة الأموية[٣]، ثم العباسية[٤]، وانتهاءاً بالدولة العثمانية[٥]. خاصة وأن العهدين القديم والجديد من حيث موقعهما التشريعي السماوي عند اليهود والمسيحيين، قد تناولا مفهوم العدالة بشكل مباشر كالآتي:

العهد القديم «التوراة»:

سفر المزامير:

أحمدك بقلب مستقيم، إذا تعلمت أحكام عدلك[٦].

التفت إلي وارحمني بحسب عدلك للذين يحبون اسمك[٧].

افتدني من ظلم الإنسان فأحفظ أوامرك[٨].

يا رب أنت يا رب، ومستقيم في أحكامك، أوصيت بشهادتك عدلا، وفي الأمانةغاية[٩].

بر للأبد عدالتك وحق شريعتك[١٠].

العهد الجديد «الإنجيل»:

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل قولوسي:

أيها السادة، قدموا للعبيد العدل والمساواة، عالمين أن لكم أنتم سيدا في السماوات[١١].

---

(١) من ١هـ/ ١١هـ.
(٢) من ١١هـ/ ٤٠هـ.
(٣) من ٤١هـ/ ١٣٢هـ.
(٤) من ١٣٢هـ/ ٦٥٦هـ.
(٥) من ٦٥٦هـ/ ١٣٤٣هـ.
(٦) رقم ٧، ص١٢٧٨.
(٧) رقم ١٣٢، ص١٢٨٤.
(٨) رقم ١٣٤، ص١٢٨٤.
(٩) رقم ١٣٧ ـ ١٣٨، ص١٢٨٤.
(١٠) رقم ١٤٢، ص١٢٨٤.
(١١) رقم ٤، ص٦٣٠.

وهنا أحب أن أقول: إن الإنصاف كما العِدْل أو القسط، والحسن، والفداء، هي مفاهيم قريبة من العدل فلا تمثل بالضرورة ظاهر وباطن العدالة؛ أي: بالشكل والمعنى.

المبحث الأول

العدالة والعدل

توقف أهل العلم عند مفهومي العدالة والعدل، فمنهم من لم يُمَيِّز بينهما، ومنهم من وضع حدّاً فارقاً بين المفهومين. لكن أكثرهم لا يفرق بين المصطلحين.

قال الماوردي (٤٥٠هـ): العدالة هي عدم ارتكاب المحظورات والإقدام على المنكرات تحكيماً للشهوة وانقياداً للهوى(١).

وقال ابن حزم (٤٥٦هـ): العدالة هي عدم التعرف بالكبيرة ولا المجاهرة بالصغيرة(٢).

والعدل: هو الوصف للشخص الذي يتصف بالعدالة. وقد قال بعض الفقهاء المسلمين: إن العدل هو الإنصاف؛ أي: أن تعطي من الحق كالذي يستحق لنفسك، ومن هذا يتفق مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية مع مفهومه في الفكر الغربي، وهو أن العدل يقوم على أساس المساواة(٣).

وليتضح المعنى لا بد من الوقوف على مدلولات العدل في القرآن الكريم، وفق مظانها في الآيات؛ كالآتي:

الإنصاف والعدل: إن الإنصاف إعطاء النصف، والعدل يكون في ذلك

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، علي بن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، علي بن أحمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. نظام القضاء في الشريعة، زيدان، عبد الكريم، ١٧٦. قلت: وعزا لابن حزم.

(٣) العدالة من المنظور الإسلامي، الصلابي، علي محمد، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ٢٩ ـ ٣٠.

وفي غيره. فالسارق إذا قطع قيل: إنه عُدِلَ عليه ولا يقال إنه أنصف.

وأصل الإنصاف أن تعطيه نصف الشيء وتأخذ نصفه من غير زيادة ولا نقصان. ومثله: المساواة(١).

العِدل والعَدل: العِدل بالكسر: المثل، تقول: عندي عِدْل جاريتك، فلا يكون إلا على جارية مثلها، والعَدْل من قولك: عندي عَدْل جاريتك، فيكون على قيمتها من الثمن، ومنه قوله تعالى: ، سورة المائدة، آية ٩٥(٢). وهذا بمعنى: من لم يجد الطعام في الكفارة فقيمة ذلك الصيام، لذا فتحت العين بمعنى مثل. وأما إذا كسرت فتأتي بمعنى زنة ذلك(٣).

القسط والعدل: القسط هو العدل البَيِّن الظّاهر، ومنه سمي المكيال قسطاً، والميزان قسطاً؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهراً، وقد يكون من العدل ما يخفى، ولهذا فإن القسط هو النصيب الذي بينت وجوهه(٤).

الحسن والعدل: إن الحسن: ما كان القادر عليه فعله، ولا يتعلق بنفع واحد أو ضده، والعدل: حسن يتعلق بنفع زيد أو ضر عمرو، يقال: إن كل الحلال حسن، وشرب المباح حسن، وليس ذلك بعدل(٥).

الفداء والعدل: إن الفداء ما يجعل بدل الشيء لينزل على حاله التي كان عليها. وسواء كان مثله أو انقضى منه، والعدل ما كان من الفداء مثلاً لما يفدى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقال تعالى:

---

(١) الفروق، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، تقديم وضبط: د. أحمد الحمصي، طرابلس: جروس برس، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٥٧.

(٢) المصدر ذاته، ١٦٩.

(٣) العدالة من المنظور الإسلامي، الصلابي، محمد علي، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ١٨.

(٤) الفروق، العسكري، ٢٥٧.

(٥) المصدر ذاته، ٢٥٨.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥﴾ [المائدة: ٩٥][١]؛ أي: تقتدي بكل فداء لا يؤخذ منها ولا يقبل ذلك اليوم.

العدل والشهادة: بأن لا إله إلا الله، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠] والعدل هنا كلمة التوحيد[٢].

إلا أن الأزهري (٣٧٠هـ) قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى سَعيد بن جُبَير يسأله عن العَدْل، فأجابه: إن العَدْل على أربعة أنحاء:

العَدْل في الحكم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

العَدل في القول؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ج ـ العَدل: الفِدْية؛ قال الله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣].

د ـ العَدْل في الإشراك قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١]

وأمّا قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

(١) المصدر ذاته، ٣٣٠.

(٢) العدالة من المنظور الإسلامي، الصلابي، ١٨.

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩] قال عَبِيدة السَّلْماني[١] والضحَّاك[٢]: في الحُبّ والجماع[٣].

ونخلص بالقول: إن العدالة مرادفة للعدل باعتباره مصدراً، وهو الاعتدال. والاستقامة، والميل إلى الحق، وهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، كما قال الجرجاني (٨١٦هـ)[٤]، وأضاف الأحمد نكري (١١٨٠هـ): أي ضد الظلم، وإحقاق الحق وإخراج الحق عن الباطل: ممتازاً عنه[٥].

---

(١) هو: عَبِيدة السلماني المُرادي. من سلمان بن ناجية، أبو عمرو. من كبار الفقهاء بالكوفة. أسْلَمَ زَمَنَ الفتح؛ ولم يَلْقَ النبيّ ﷺ. أخذ عن عليّ وابن مسعود. وتُوُفّي سنة اثنتين وسبعين للهجرة. وروى له الجماعة. وهو بفتح العين وكَسْر الباء. روى المزي عن ابن سِيْرين: وسُرُج أهل الكوفة أربعة: عَبِيدة السّلْماني، والحارث الأعور، وعَلْقَمة بن قيس، وشُرَيح وكان أخسّهم. وصحح السيوطي التصحيف بقوله عن شريح: وكان «أحسنهم» بدل «أخسهم». تهذيب الكمال، المزي، يوسف بن عبد الرحمٰن، بيروت: دار الفكر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م، ٨/ ٣١٨، الوافي بالوفيات، الصفدي، خليل بن أيبك، ١٨/٢٣، طبقات الحفاظ، السيوطي، عبد الرحمٰن بن الكمال، بيروت: دار الكتب العلمية١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م، ١/ ٢٧.

(٢) هو: الضَّحَّاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة القُرَشي الفِهْري، أبو أنيس. وقيل أبو عبد الرحمٰن، وهو أخو فاطمة بنت قيس، كان أصغر منها؛ يقال إنه ولد قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلّم بسبع سنين أو نحوها وينفون سماعه من النبيّ ﷺ، والله أعلم. قال ابن عبد البرّ: كان على شرطة معاوية، ثم صار عاملاً له على الكوفة بعد زيادٍ سنة ثلاثٍ وخمسين، وعزله سنةَ سبعٍ وخمسين، وكان مع معاوية إلى أن مات، وصلّى عليهِ وقام بخلافته حتى قدمَ يزيد، وكان معه إلى أن مات، ومات بعده ابنه معاوية، ووثبَ مروان على بعض الشام وبويع له، فبايع الضحّاك بن قيس أكثر أهلِ الشام لابن الزبير ودعا إليه، فاقتتلوا، فقُتل الضحّاك بمرج راهط سنة أربعٍ وستّين للهجرة؛ وروى له النّسائي. الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ٢/ ١٩٧، الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩/ ١٩٣.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد، بيروت: دار إحياء التراث العربي١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م، ٥/ ١٢٤.

(٤) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، تحقيق: د.عبد الرحمٰن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١٩٢.

(٥) موسوعة مصطلحات جامع العلوم الملقب «دستور العلماء»، الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، تحقيق: د.علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٥٨٢.

بينما هي عند الفلاسفة: المبدأ المثالي أو الطبيعي أو الوضعي الذي يحدد معنى الحق ويوجب احترامه وتطبيقه[١]. بل هي الإطار العملي كانعكاس لمحبة الحكمة لدلالتها في سياسة المدنية والأمَّة والمُلك، إضافة لسياسة الرجل نفسه في إطار الأخلاق، أو سياسته أهله في تدبير المنزل[٢].

ولا سبيل لاحترام الإنسان في دائرة الحق وفق حرية التعبير والتفكير في مسرح الحياة المدنية إلا بقانون عادل منبثق من نمط البشرية السليمة من مرض الاستبداد والإلغاء والتعالي، وذروة ذلك وجود السلطة المنبثقة من رحم التشريع الأصيل الموائم بين المبدأ والتطبيق، ويتجلى ذلك بالحاكم العادل الذي اختار بطانته من نسيج العدل.

قال الثعالبي (٤٢٩هـ): فإذا اجتمع المَلِك الفاضل، والوزير الصالح الناجح، فاعلم بأن المملكة تكون ساكنة هادية، وأحوالها وأعمالها على النظام جارية. ولذا قال ﷺ: إذا أراد الله بملك خيراً قَيَّضَ له وزيراً صالحاً، إن نَسِيَ ذَكَّره، وإن نوى خيراً أعانه،[٣] وإن أراد شراً كَفَّهُ»[٤].

المبحث الثاني

العدالة والتشريع الإلهي

إن العدالة في الإسلام هي نتاج تشريع إلهي تضمنت مراعاة الفطرة، والعقل، والأخلاق على قاعدة الحق والخير، وفق منطق القوة الحاكمة باسم

(١) تهذيب الأخلاق، مسكويه، ١١٧.

(٢) المعجم الفلسفي، صليبا، جميل، إيران: سليمانزاده، منشورات ذوي القربى، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، ٢/ ١٦٠.

(٣) تحفة الوزراء، الثعالبي، عبد الملك بن محمد، تحقيق، د.سعد أو دية، الأردن: دار البشير، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤ م، ص٢٧.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ. سنن النسائي الكبرى، النسائي، أحمد بن علي، بيروت: دار الكتب العلمية١٤١٢هـ/ ١٩٩١ م، ٥/ ٢٢٩، حديث رقم (٨٦٥٩)، بلفظ: عن عائشة: قال رسول الله ﷺ: **«من ولي منكم عملاً فأراد به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه»**.

القانون بِشِقَّيْه الروحي والوضعي إضافة للطبيعي الكوني والفطري.

الإسلام دين الفطرة: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

الأنبياء والعدل الخلقي: قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى: ٤٢].

الناس والعدل الخلقي: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

الأمر الإلهي والعدل: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

الكون والعدل: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]

الحكم والتقوى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

والحقيقة الغائبة عن ثقافتنا أن الدولة العثمانية قد تعاملت مع المسيحيين الأقباط بمنطق العدل التام، وخصوصاً في عهد أولئك الحكام الذين تَسنَّموا معاني التقوى في نفوسهم وسلوكهم، إضافة لما وفقهم الله ﷻ باختيارهم بطانة الصلاح التي تبغي مرضاة العليم الخبير.

والمهم أن العثمانيين قد تجاوزوا النظرية إلى التطبيق في حيز احترام المسيحي كإنسان مكرم وفق التشريع الإلهي والفطرة الإنسانية على قاعدة العدالة التي رعت الإنسان وفق كل السُبل الحياتية.

لقد عمل الحكام العثمانيون بقواعد العدل الأربع في السلطة تجاه المسلمين وغير المسلمين وعلى وجه الخصوص المسيحيين الأقباط، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

ولذا حكموا ستة قرون، قال ابن جماعة (٧٣٣هـ): ضمن سبحانه نصرة الملوك بهذه الشروط الأربعة[١]. فإذا قاموا بهذه الشروط تحقق لهم النصر المشروط. فإن بذلك صلاح البلاد وأمن العباد، وقطع مواد الفساد؛ لأن الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم، ويتجرد لحراستهم.. يدفع القوي عن الضعيف، وينصف المظلوم من ظالمه ـ وإلا: لتواثب الناس بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١][٢].

ولن تفسد الأرض بالسلطة التي تراعي قانون العدل الذي يطبقه حاكم أقام سلطانه الذاتي على التقوى، وإلا رجَّح هواه على عقله وطبعه وفطرته، وبذا يعم الفساد في أرجاء ملكه وفي عمق أمَّتِهِ وضمن مدنية مجتمعه، قال الجويني(٤٧٨هـ): «ومن لم يتق الله لم تُؤمِن غوائله، ولم يَصُنْ نفسه لم تنفعه فضائله»[٣].

(١) وهي: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
(٢) تحرير الأحكام، ص٤٨ ـ ٤٩.
(٣) غياث الأمم، ٣٦.

المبحث الثالث

النظام الغربي والدولة العثمانية

استغل النظام الغربي ضعف الدولة العثمانية[١]، التي رافقها ممارسات جائرة من قبل عدد من القادة تجاه الشعب بكل مكوناته، فعمل على تشويه صورة التسامح الإسلامي تجاه المسيحيين بأساليب متنوعة، منها:

المطلب الأول

وسائل الإعلام

ركَّزت الصحف العربية التي كان يصدرها المارون «من الطائفة المسيحية الكريمة» اللبنانيون خصماء الخلافة العثمانية ـ على السلطان عبد الحميد الذي أضحى رمزاً للإسلام والمسلمين، فنعتوه بالسلطان الأحمر بتهم ثبت بطلانها بزعمهم أنه صاحب الأمر بإلقاء المسيحيين في الدردنيل[٢]، وذلك في: المقطم[٣]، والمقتطف[٤]، والهلال[٥]، بأقلام: جرجي زيدان، فارس نمر،

(١) سقوط الدولة العثمانية دراسة تاريخية في العوامل والأسباب، الحميد، عبد اللطيف، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ٣٤.

(٢) مضيق الدردنيل بالتركية: (Çanakkale Boğaz) شنق قلعة بوغاز»، باليونانية: Δαρδανελλια «دَرْدَنِليا»، هو ممر مائي دولي يربط بحر إيجة ببحر مرمرة. ويفصل المضيق ما بين شاطئ آسيا الصغرى وشبه جزيرة جاليبولي في الجانب الأوروبا وهما من الأراضي التركية، يبلغ طول مضيق الدردنيل حوالي ٦١ كم، وعرضه يتراوح بين ١,٢ إلى ٦ كم ويصل عمقه من ٥٠ إلى ٦٠ متراً. وقد اعتنت الدولة العثمانية بعد امتلاكها للقسطنطينية بتحصينه فبنت القلاع على جانبيه حتى أصبح منيعاً يستحيل على أكبر أسطول أن يقتحمه بدون أن يتعرض لأكبر الأخطار.
https: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8A%D9

(٣) قلت: هي جريدة يومية سياسية، صدرت في الفترة ١٨٨٨ ـ ١٩٥٢م. أنشأها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس في القاهرة.

(٤) قلت: هي مجلة المقتطف(١٢٩٣هـ ـ ١٣٧١هـ/١٨٧٦م ـ ١٩٥٢م)، مجلة شامية ـ مصرية أنشأت في الشام عام ١٨٧٦ من قبل يعقوب صروف.

(٥) قلت: هي جلة الهلال مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال، أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ وصدر عددها الأول في ١ سبتمبر من العام نفسه، وهي بذلك تعد أول مجلة ثقافية شهرية عربية.

صروف مكاريوس، سليم سركيس، لويس صابونجي[١].

المطلب الثاني

مذابح الأرمن

ترددت كثيراً قصة مذابح الأرمن، ومسؤولية السلطان عبد الحميد عنها، وقد تَبَيَّنَت براءته منها، وأن الغوغاء هم الذين تسبَّبُوا فيها، والأرمن هم الذين بدأوا باحتلال مبنى البنك العثماني وقتل بعض موظفيه، رداً على القمع الذي جوبهت به ثورتهم، والتي ثبت أن الروس والإنكليز دفعوهم إليها دفعاً، وليس بسبب سوء المعاملة كما قد يتوهم البعض[٢].

وذلك بمثل ما توهَّم الكثيرون في محرقة اليهود التي عرفت بالهولوكوست والشواه أو الإبادة الجماعية من قبل النازيين الألمان بزعامة هتلر، حيث أثبت بطلانها المفكروالفيلسوف الكبير روجيه جارودي، متسائلاً: كيف أُبِيد ستة ملايين يهوديا وكان عددهم عام ١٩٤١م ثلاثة ملايين ومائة وعشرة آلاف وسبعمائة واثنين وعشرين يهودياً! وهل يمكن أن نوافق على منطق ادعاء هذه الإبادة وفق هذا الحساب الغريب:

٦ ـ ٣ =٦[٣]؟!

وقد استغلوا روح التسامح لإحراج الدولة وكسب مزيد من الامتيازات، شهد بهذا «دجوفارا» أحد كبار ساسة رومانيا ومؤرخيها[٤]. وظلوا متمتعين بخير حال نحو خمسمائة سنة وهم مستقلون بالفعل ولا يتقاضاهم استقلالهم جنداً ولا مالاً، ومن المؤسف أن هذا التسامح الديني لا مثيل له في التاريخ

(١) تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث ـ السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، الجندي أنور، بيروت، دار ابن زيدون، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١٤٧.

(٢) المصدر ذاته، ١١١.

(٣) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، غارودي، روجيه، ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهيم، بيروت: دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٧٥.

(٤) تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، الجندي، ١١٢. قلت: له كتاب" مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية"، ألفه بعد الحرب العالمية الأولى.

كان مبدأ الامتيازات الأجنبية[١] التي استغلها الغربيون في أواخر القرن الماضي[٢] ومطلع القرن الحاضر[٣] استغلالاً سيئاً للقضاء على مظاهر السيادة الوطنية في البلاد[٤]. حيث رعت فرنسا الكاثوليك، وروسيا الروم الأرثوذكس، وبريطانيا البروتستانت[٥].

المطلب الثالث

الخلافة الإسلامية والأتراك

نقل إلينا الآباء والأجداد معاناتهم من جند الأتراك بعد تغلغل الدول الأوربية في جسم الخلافة العثمانية، وغرسوا لهم أعواناً في كل المؤسسات؛ فظلموا وقهروا واستبدوا بالفقير قبل الغني والضعيف قبل القوي، فكان الجند يأتون إلى قرانا بعد حصاد القمح، ويتفقدون البيادر حيث غِلة موسم الفلاحين والمزارعين، ليضعوا عليها ختم الدولة، فلا يستطيع صاحبها التصرف فيها قبل أن يدفع لهم الضريبة غير العادلة، وإلا خلطوا له كل أنواع الحبوب التي عنده حتى في بيته ليفسدوها.

هنا لم تميز مجتمعاتنا بين حقيقة الدولة العثمانية المتسامحة مع غير المسلمين وبين عهد التتريك الغربي، فانطبع في أذهانهم ظلم العثمانيين مصدقين روايات الكُتاب عن ظلمهم للأرمن بل لكل المسيحيين باعتقاد راسخ لا لَبْس فيه وهم يقولون: إذا كنا من أبناء جلدتهم وظلمونا بهذا الشكل اللاأخلاقي فكيف حالهم مع غير المسلمين؟

والحقيقة أن سياسة العثمانيين المتساهلة مع القوميات والأديان ساعدت

---

(١) يعتبر سليمان القانوني أول من منح حق حماية الأقليات لدولة أجنبية، وذلك بمؤتمر برلين، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م. فلسفة التاريخ العثماني، بيهم، محمد جميل، بيروت١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، ص١٠٠.

(٢) أي القرن التاسع عشر.

(٣) أي القرن العشرين.

(٤) من روائع حضارتنا، السباعي، ٨٦.

(٥) فلسفة التاريخ العثماني، بيهم، ص١٠٠.

في عدم انصهارها ثقافياً ودينياً في البوتقة العثمانية، بل ظلت القوميات غير الإسلامية محافظة على هويتها[١]، ومُمارِسة لكل أنواع الحياة المعيشية بيسر وحرية كأي مواطن وفق قوانين الدولة؛ رغم الفتن والحروب ترى اختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع. وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وهي من الآمنة على غاية، وتجار النصارى يؤدون في بلاد المسلمين ضريبة على سلعهم، والإتفاق بينهم والاعتدال، وأهل الحرب مشغولون بحربهم والناس في عافية، كما قال الجبرتي[٢].

ولكي نقف على حقيقة دور العثمانيين تجاه المسيحيين وفي مقدمتهم الأقباط الأرثوذكس، لا بد من استبيان المحاور الآتية:

المبحث الأول

عثمان بن أرطغرل (٧٧٦هـ)

أثر سلوك السلطان عثمان على أبناء مجتمعه، حيث رأوا فيه القائد القدوة، بل كان يتمتع بمزايا الإصلاح وهو في موقع المسؤولية؛ فلم تغير السلطة من روح التزامه، وصدق إيمانه، وصفاء سريرته، وجميل تواضعه، وفق المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول

القادة البيزنطيون وعدل المساواة

ساوى الإسلام بين مقام الإنسان في مجتمعه الأول بين بني جنسه وبين حياته الثانية بعد اعتناقه الإسلام مختاراً، بأن حافظ على مكانته الاجتماعية

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية، أوزتونا، يلماز، ترجمة عدنان سليمان، استانبول، نشر مؤسسة فيصل للتمويل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ٢: ٤٦٥ ـ ٤٦٧.

(٢) عجائب الآثار، في التراجم والأخبار. الجبرتي، عبد الرحمٰن، بيروت: دارفارس، ٤: ١٣٥.

والسياسية؛ لأن الدين الإسلامي لا يُذِلّ العزيز ولا يُضْعِف القوي ولا يُفْقِر الغني ولا يَسْتَعْبِد السيد، بل يُكْرِمْه ويُعْلي من شأنه، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ عند فتح مكة بقوله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، وبانَ التكريم لمقام زعامة أبي سفيان بقوله: «ومن دخل المسجد فهو آمن»[(١)]. وهذا ما عمل به القادة العثمانيون مع القادة البيزنطيين، انطلاقاً من القاعدة النبوية: «**خِيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فَقِهوا**»[(٢)].

ظهرت جاذبية الإيمان على عثمان بن أرطغرل (٧٢٦هـ) عندما احْتَكَّ به أقرينوس قائد بروسه[(٣)] واعتنق الإسلام ـ أعطاه السلطان عثمان لقب (بك) وأصبح من قادة الدولة العثمانية البارزين فيما بعد، وقد تأثر كثير من القادة البيزنطيين بشخصية عثمان ومنهجه الذي سار عليه حتى امتلأت صفوف

---

(١) سيرة بن هشام، ابن هشام، ٣/٣، المغازي، الواقدي، ٤/ ٧.

(٢) متفق عليه، الجامع المسند الصحيح المختصرمن أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف (صحيح البخاري)، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: د. مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (٦٤) الأنبياء، (١١) باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ٢٥]، حديث رقم: (٣١٧٥) و(٣١٩٤، ٣٣٢٠٣، ٣٣٠١، ٤٤١٢)، المسند الصحيح المختصرمن السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ،المعروف (صحيح مسلم)، ابن الحجاج القشيري، مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، (٤٤) كتاب فضائل الصحابة، (٤٨) باب خيار الناس، حديث رقم(٢٥٢٦)، ٤/ ١٩٥٨.

(٣) بورصة بالتركية (Bursa): رابع مدن تركيا سكانا وإحدى أهم المدن الصناعية التركية وهي مركز محافظة بورصة. تقع في شمال غرب البلاد، منطقة مرمرة، بين مدينتي إسطنبول وأنقرة. بلغ عدد سكانها سنة ٢٠١٠م حوالي ١,٢ مليون نسمة.

كانت بورصة عاصمة لولاية عثمانية بين ١٣٢٦ و١٣٦٥. وفي فترة العثمانيين كان يطلق عليها (خداوندكار) وتعني هدية الله، بينما أشهر ألقابها حاليا هو « Ye?il Bursa» وتعني «بورصة الخضراء» بسبب كثرة الحدائق العامة والمتنزهات الموجودة حولها، فضلا عن الغابات المتنوعة الشاسعة المنتشرة حول المنطقة. وبجوار المدينة يقع جبل أولوداغ الذي يرتفع عاليا خلف مركزها وهو أيضا منتجع شهير للتزلج. وتنتشر في تلك المدينة أضرحة السلاطين العثمانيين الأوائل كما أن فيها العديد من مباني العهد العثماني التي تشكل معالم رئيسية للمدينة.

https: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%B5%D8%A9_(%D9%85%-D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9)

العثمانيين منهم[١].

المطلب الثاني

إسلام المواطن البيزنطي وقومه

حكم السلطان عثمان في مدينة «قره جه» - بعد الاستيلاء عليها من البيزنطيين عام (٦٨٤هـ) - لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي، فاستغرب البيزنطي وسأل عثمان: كيف تحكم لصالحي وأنا على غير دينك؟ فأجابه عثمان: بل كيف لا أحكم لصالحك، والله الذي نعبده يقول لنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، وكان هذا العدل الكريم سبباً في اهتداء الرجل وقومه إلى الإسلام[٢]، وذلك بسبب العدل.

وهذا ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع مظلومية المصري من ابن أميرها عمرو بن العاص. عن أنس، قال:

«أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت مُعاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم بابنه معه. فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. ثم قال للمصري: ضعه على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني»[٣]. وفي

---

(١) قيام الدولة العثمانية، دهيش، د. عبد اللطيف، مكة: مطبعة النهضة الحديثة، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ٢٦.

(٢) جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين، أبو غنيمة، زياد، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٣٢.

(٣) التذكرة الحمدونية، بن حمدون، محمد بن محمد، ٣/ ١٤٣، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، =

رواية ابن حمدون (٤٥٥هـ): فجعل ـ عمرو بن العاص ـ يعتذر ويقول: إني لم أشعر بهذا[١].

المطلب الثالث

وصية السلطان لابنه بالعدل

حث السلطان أبناءه على السلوك السوي وفق قواعد الشريعة، وحَذَّرَهم من هوى السلطة وزخرف الدنيا وميول النفس الأمارة بالسوء إذا ما سلكوا طريق الباطل والظلم؛ فإنهم سيحرمون صحبة خاتم الأنبياء في جنة الفردوس؛ لأنه لا يشفع لظالم وبطال.

وذلك مِصْداقاً لقوله ﷺ: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ معاهَداً وانْتَقَصَهُ، وكَلَّفَهُ فوقَ طاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ منهُ شيئاً بغيرِ طيبِ نفسٍ منهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يومَ القيامةِ**»، وأشارَ رسولُ الله بإِصْبَعِهِ إلى صَدْرِهِ، «**أَلَا وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لهُ ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسولِهِ، حَرَّمَ الله عليهِ ريحَ الجَنَّةِ، وإِنَّ رِيْحَهَا لَتُوجَدُ من مسيرةِ سبعينَ خريفاً، من ظلم معاهداً لم يرح رائحة الجنة**»[٢].

ولذا، قال السلطان في وصيته لابنه أورخان (٧٦١هـ): إياك أن تشتغل بشيئ لم يأمر به الله رب العالمين. ومن انحرف من سلالتي عن الحق والعدل حرم من شفاعة الرسول الأعظم يوم المحشر[٣].

= الزمخشري، محمد بن عمر، ٣/ ٢٦٢، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمٰن بن الكمال، ٢/ ١٧٩، وقال: أخرجه بن عبد الحكم. قلت: واللفظ للسيوطي.

(١) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ٣/ ١٤٣.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨١هـ، كتاب الخراج، (٣٣) باب في تعشير أهل الذمة، حديث رقم (٣٠٥٤)، ٨/ ٣٠٤، سنن البيهقي الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين، بيروت: دار الفكر١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، حديث رقم: (١٩١٠٦)، ١٤/ ٥٠.

(٣) العثمانيون في التاريخ والحضارة، حرب، د. محمد، دمشق: دار القلم ط١، ١٩٠٤هـ/ ١٩٨٩م، ١٦، جوانب مضيئة، أبو غنيمة، ٢١.

المبحث الثاني:

مراد الأول (٧٩١هـ)

سار السلطان مراد الأول على نهج صدر الإسلام بدءاً بالقائد الأول النبي ﷺ الذي قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»[١]، وعقد صلح الحديبية الذي رآه بالظاهر كبار الصحابة ضعفاً ومن بينهم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، بينما برؤية القيادة النبوية الاستراتيجية كان نصراً مؤزراً في دخول المجتمع المكي لاحقاً في الإسلام.

فاختار السلطان منهج التسامح النبوي متجاوزاً أي أذى حسي أو معنوي، لأنه يريد مآل الموقف الذي يستشرف من خلاله المستقبل الزاهر بكل معاني الحياة الدنيوية والأخروية.

في عهد السلطان مراد الأول (٧٩١هـ) عقدت أول معاهدة ودية وتجارية بين الدولة العثمانية والدولة المسيحية المتمثلة بجمهورية راجوزه[٢] المطلة على البحر الأدرياتيكي[٣].

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك، بيروت: دار الجيل، ١/ ٢٤٥، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، عياض بن موسى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ١/ ٨٦.

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، محمد فريد بك، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس،ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٣٩١. قلت: جمهورية راغوزا أو جمهورية دوبروفنيك كانت جمهورية بحرية تركزت في مدينة دوبروفنيك (راغوزا بالإيطالية واللاتينية) في دالماسيا (اليوم في جنوب كرواتيا الحديثة).

https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title = %D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%A

(٣) البحر الأدرياتيكي أو بحر البَنَادِقِيين أو بحر البَنَادِقَة (بالإيطالية: Mare Adriatico!! بالكرواتية: Jadransko more أو Jadran) هو أحد فروع البحر المتوسط.

https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title = %D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%AB

وبعد انتهاء المعركة في قوصرة[1] وبينما يتفقد الجرحى طعنه أحد المتظاهرين بالموت، فقال: «لا تعذبوا الأسرى ولا تؤذوهم، ولا تسلبوهم»[2].

وذلك لما روي أن النبي ﷺ قال لأصحابه في أسرى بني قريظة بعدما احترق النهار في يوم صائف: «**أَحْسِنُوا إِسَارَهُمْ وَقَيِّلُوهُمْ وَأَسْقُوهُمْ**»[3]، ولأن أمر الأسير بيد الحاكم الأعرف بواقع الحال والمآل قال نبي الرحمة ﷺ: «**لا يتعاطى أحدكم أسير صاحبه فيقتله**»[4]، وقبل ذلك كله عملاً بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨].

إنه عين الموقف الذي أوصى فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة من بعده عقب طعن أبي لؤلؤة المجوسي له: «..وأوصيه بذمة الله خيراً، وذمة رسوله ﷺ، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم»[5].

---

(١) القَوْصَرَة في اللغة العربية هي وعاء من قصب أو أعواد مشبّكة يُجعل فيه التمر ونحوه. قوصرة، وهي جزيرة إيطالية تقع بين صقلية وتونس. قوصرة، وهي التقسيم الإداري الإيطالي، بلدية تابعة لمقاطعة تراباني. وفدها العرب والأمازيغ، حوالي عام ٧٠٠ م، من سواحل إفريقية (تونس).
https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title = %D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%AB

(٢) الفتوح الإسلامية عبر العصور، العمري، د.عبد العزيز، الرياض: دار اشبيلية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٣٩١.

(٣) المغازي،الواقدي، محمد بن عمر، ٣/١٢، شرح السير الكبير، مصر: مطبعة مصر١٣٨٠هـ/١٩٦٠، قلت: ولم يذكر له إسنادا.

(٤) مسند أحمد بن حنبل، أحمد،مصر: المطبعة الميمنية، ٥/١٨.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي،علي بن أبي بكر، بيروت: دار الفكر١٤١٥هـ/١٩٩٤م، حديث رقم: ٩٧٠٧، ٥/٣٣٣، وقال عقبه: فيه إسحاق بن ثعلبة، وهو ضعيف.

(٥) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، عبد الرحمٰن بن علي، تحقيق: زينب القاروط، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠، ص٢٢٠، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، رضا، محمد رشيد، بيروت: دار القلم١٤٢٤هـ/٢٠٠٣، ص٢٠١٣ ـ ٢٠١٤.

المبحث الثالث

محمد الفاتح (٨٨٦هـ)

عامل أهل الكتاب وفق الشريعة الإسلامية، وأعطاهم حقوقهم الدينية، ولم يتعرض أحد من النصارى للظلم أو التعدي، بل أكرم زعماءهم وأحسن إلى رؤسائهم وكان شعاره: العدل أساس الملك[(١)]. فكان العدل بين الناس من أهم الأمور التي حرص عليها العثمانيون، وكانت معاملتهم للنصارى خالية من أي شكل من أشكال التعصب والظلم، ولم يخطر ببالهم اضطهادهم بسبب دينهم[(٢)].

وقال في رسالة إلى أخيه سلطان مصر الأشرف إينال[(٣)] وهي من إنشاء الشيخ أحمد الكرواني: متى طلع الصبح الصادق هجمنا مثل النجوم رجوما لجنود الشياطين، سخرها الحكم الصديقي ببركة العدل الفاروقي[(٤)].

كان محمد الفاتح وهو يمثل إسلامه وعقيدته ومنهجه الإسلامي في الحرب على تعاليم الصديق أبي بكر رضي الله عنه في معاملته للروم: لا تخونوا، ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا

---

(١) محمد الفاتح، الرشيدي، سليم، جدة: الإرشاد، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٥٢.

(٢) جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين، أبو غنيمة، زيادة، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٢٧٤.

(٣) قلت: هو السلطان الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائي الظاهري أو إينال هو السلطان الثاني عشر من دولة المماليك البرجية الشراكسة.

(٤) المصدر ذاته، ١٦٣ ـ ١٦٧. قلت: وأكمل الشيخ الكوراني باسم محمد الفاتح في مناخ التمرد على العدل: فلما ظهرنا على هؤلاء الأرجاس الأنجاس الحلوس طهرنا القوس من القسوس وأخرجنا منه الصليب والناقوس، وصيرنا معابد عبدة الأصنام مساجد أهل الإسلام، وتشرفت تلك الخطة بشرف السكة والخطبة، فوقع أمر الله وبطل ما كانوا يعملون. وقد عزله أكثر من مرة ورحل إلى مصرحيث السلطان قيتباي بسبب تمزيقه لمرسوم عقب رؤيته لمخالفة شرعية من بعض الجند رغم علمه ومقام خبرته باعتباره قاضي العسكر. ولعل هذه النبرة الحادة تجاه المسيحيين بعد الانتصار عليهم هي من جملة تلك الأخطاء؛ لأنها لا تنسجم مع منهج عدالته وتسامحه مع غير المسلمين.

شاة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. اندفعوا باسم الله[(١)].

ولذلك عمل السلطان محمد الفاتح على سياسة من قبله من الحكام العثمانيين تجاه غير المسلمين، فأعطى الحرية لرجال الدين في طقوسهم، وأبقى سلطتهم على رعاياهم دون تدخل الدولة في ذلك، فقد شعر المسيحيون من سكان البلاد بالحرية في ذلك مالم يشعروا ببعضه في حكم الروم، ولعل أحداً منا لا ينسى موقف السلطان محمد الفاتح حين استولى على القسطنطينية مقر البطريكية الأرثوذكسية في الشرق كله، فقد أعلن يومئذ تأمين سكانها وكلهم نصارى على: أموالهم وأرواحهم وعقائدهم وكنائسهم وصلبانهم، وأعفاهم من الجندية، ومنح رؤساءهم سلطة التشريع والفصل في الخصومات التي تقع بين رعاياهم، دون أن تتدخل الدولة فيها[(٢)] !

فرأى في ذلك سكان القسطنطينية فرقاً كبيراً بين ما كانوا يعملون به في عهد البيزنطيين وبين معاملة السلطان محمد الفاتح لهم.حتى أن بعض الرهبان الذين كانوا مختبئين في سراديب الكنيسة ـ آيا صوفيا ـ لما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنواإسلامهم[(٣)].

إذ كان البيزنطيون يتدخلون في الخلافات المذهبية ويفضلون أتباع كنيستهم على اتباع الكنائس الأخرى، فارتاح سكان القسطنطينية إلى الحكم الجديد، وانشرحت نفوسهم لهذا التسامح الديني الذي لم يعهدوا له مثيلاً من أبناء ملتهم الحاكمين من قبل، حتى كان بطريرك الروم بما أعطي من السلطان أشبه بحكومة وسط حكومة[(٤)].فقد أعطاهم السلطان حرية اختيار رؤسائهم

(١) المسألة الشرقية، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية، الشاذلي، محمود، مكتبة وهبي، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٠٦.

(٢) من روائع حضارتنا، السباعي، ٨٦.

(٣) الفتوح الإسلامية عبر العصور، العمري، عبد العزيز، دار اشبيلية، ط١١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٣٨٤.

(٤) من روائع حضارتنا، السباعي، ٨٦.

الدينيين الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى(١).

وبلغ من عدله وتسامحه أنه عامل أهل القسطنطينية معاملة روحية، وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى والرفق بهم، وافتدى عددا كبيرا من الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمراء اليونان، ورجال الدين.

ومن إحسان عدله أنه اجتمع مع الأساقفة وهدأ من روعهم، وطمأنهم إلى المحافظة على عقائدهم وشرائعهم وبيوت عبادتهم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديد فانتخبوا «أجناديوس»، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب حافل من الأساقفة إلى مقر السلطان، فاستقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة بالغة أكرمه أيما تكريم، وتناول معه الطعام وتحدث معه في موضوعات شتى، دينية وسياسية واجتماعية وخرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تماما عن السلاطين العثمانيين وعن الأتراك، بل المسلمين عامة، وشعر أنه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة وإنسانية رفيعة، ورجولة مكتملة، ولم يكن الروم أقل تأثيرا ودهشة من بطرياركهم. فقد كانو يتصورون أن القتل العام لا بد لاحقهم، فلم تمض أيام قليلة حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام(٢).

المبحث الرابع

عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٢٧٧هـ)

تميز حكم السلطان عبد المجيد الأول بسن القوانين العامة التي تحاكي كل مكونات المجتمع دون تفريق بين الأجناس والأعراف وفق بيئاتهم الفكرية والدينية. وجديد السلطان إخضاع كل أتباع الشرائع السماوية بإنصاف العدل إلى قانون الدولة عند وقوع أي نزاع أو خصام.

---

(١) الفتوح الإسلامية عبر العصور، العمري، عبد العزيز، ٣٨٤.

(٢) محمد الفاتح، ١٣٤.

بدأ عهد جديد يسمى عهد التنظيمات الخيرية العثمانية التي كان من بينها احترام الحريات العامة والممتلكات والأشخاص بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية، نص فيه على مساواة جميع الأديان أمام القانون[١].

المبحث الخامس

مشيخة الإسلام تجاه المسيحيين ورجال ديانتهم

حظيت طبقة العلماء باحترام الحكام العثمانيين، وكان لهم دور بارز في الشؤون السياسية، والوقوف بجوار الرعايا، وكان الباشاوات في مصر يحسبون لهم ألف حساب، فقد وقفوا ضد الحكام في أكثر من مرّة.

وجدت طبقة ثالثة وهي طبقة العلماء، وهم على دراية بالشريعة وعلومها، وتنحصر فيهم بعض الوظائف ذات الصبغة القانونية والدينية والشرعية، مثل القضاة والفقهاء والأئمة والمعلمين. أضاف السلطان سليمان القانوني لمجلس الوالي والجيش والمماليك، الديوان الأكبر الذي كان أعضاؤه من قادة الجيش والعلماء معاً، ويجتمع عند التحدث بالأمور الخطيرة[٢].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنّ العثمانيين كانوا يولون العلماء إهتمامهم ويعطونهم مكانةً خاصّة. فقد كان منهم أعضاء في الديوان الأكبر ممّا يسمح لهم التدخل في شؤون البلاد العليا[٣].

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، الزهراني، علي بن نجيب، مكة: دار طيبة، الشارقة: دار آل عمار، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ٢: ٢٦٦.

(٢) دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، بيومي، د.محمد علي فهيم، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٤، دور الأزهر السياسي في مصر العثمانية، عبد الجواد صابر اسماعيل، القاهرة: مكتبة وهبي، ط١، ص٥ ـ ٦. مصر تحت الحكم العثماني، عبد الجواد صابر اسماعيل، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلاميّة١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ص١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) صفحات من تاريخ مصر؛ تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، عمر الإسكندر وسليم حسن، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١٤١٧،٢هـ/ ١٩٩٦م، ص١٩٤.

ويؤكد ذلك الجبرتي (١٢٣٧هـ) بقوله: «كانوا في صدر دولتهم من خير من تقدم أمور الدولة بعد الخلفاء المهديين، وأشد من ذبَّ عن الدين.. وإقامة الشعائر الإسلاميّة والسّنن المحمديّة[١]».

أخذت مؤسسة مشيخة الإسلام دورها الفعال في إسداء النصح والإرشاد لولي الأمر، فلم تكن المرجعية الدينية لدى السلطان الأعظم تابعة بلا شخصية ولا ملحقة بلا رأي، إذ إنّ مفهوم الطاعة قائم لديهم على معنى الولاء للدولة بما تُمَثِّل من مؤسسات يضبطها القانون والتشريع الإلهي برمزية الحاكم.

وبدا واضحاً تمسك العلماء بقاعدتي العدل والرحمة تجاه أي مخالفٍ على مستوى المذهب أو الطائفة، ولذا حاربوا اللغة المذهبية كما الطائفية، وتواصلوا مع المرجعية المسيحية ناصحين لها كنصحهم لمن يمثلهم في بيئتهم الخاصة، فكان دور المشيخة له الدور المباشر في حفظ الوجود المسيحي ومنع الأذى عنهم؛ خاصّةً عندما يتأثّر القرار السياسي تجاه الآخر الإسلامي أو المسيحي بهوى الانفعال النفسي أو الفتنوي البغيض من أصحاب المصالح الضيقة بما يبثّه وزراء السوء في مجلس السلطان من سمومٍ لا دينيةٍ ولا إنسانية فيوغر صدره.

لقد سرى منطق العدل العلمائي عند العثمانيين إلى لبّ المواطنة فتساوى كل المذاهب ضمن طوائفهم إسلاميّاً ومسيحيّاً ويهوديّاً، حتى قضوا على كل معالم التفرقة بل أنهوا لغة الاستعباد المعنوي والاسترقاق الحسي التي كانت سائدة في ربوع أوروبا بشكلٍ رسمي يرعاها ويُنَمِّيها القانون البشري المخالف لكل المعاني الإنسانية الفطرية والكونية الربانية.

يتضمن هذا المبحث كوكبة من عمالقة الإسلام المتنورين، وفق مطلبين كالآتي:

---

(١) عجائب الآثارفي التراجم والأخبار، الجبرتي، عبد الرحمٰن بن حسن، بيروت: دار الجيل، ١/ ٣٨.

المطلب الأول

شيخ الإسلام «زنبلي علي جمالي»

نرى من سياق الأحداث ومجرياتها أن المسيحيين الذين ينظر إليهم كأهل كتاب مقدس، كانوا يعاملون برفق ومودّة[١] بل إن العدل والرحمة الإسلامية هما اللذان مكنا للعثمانيين[٢].

وقد أعطى شيخ الإسلام الورع «زنبلّي علي جمالي» أحسن مثَلٍ على ذلك[٣] بمعارضته للسلطان سليم الأول عندما حاول منع الحريات الدينية عند المسيحيين[٤]، فبعد أن أمر السلطان «ياوزسليم»[٥] بالقضاء على الشيعة، أو بتحويل كل الكنائس إلى مساجد، ومنع إقامة الطقوس المسيحية، ورأى أن على جميع المسيحيين أن يدخلوا في الإسلام، والذين يمتنعون عن ذلك يجب أن يقتلوا.

إذ ذاك وجد شيخ الإسلام زنبلّي علي جمالي والصدر الأعظم «بيري»[٦] نفسيهما في صراع ذاتي مع الضمير بسبب أوامر السلطان هذه؛ وكانا يطلعان البطريرك سراً على كل شيء؛ ثم نصحاه بأن يرجو السلطان عرض هذه المسألة

---

(١) مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، كيدو، أكرم، ترجمة د. هاشم الأيوبي، لبنان: منشورات جروس برس، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١٣٠.

(٢) المسألة الشرقية، الشاذلي، ١٠٧.

(٣) مؤسسة شيخ الإسلام، كيدو، ١٣٠.

(٤) المصدر ذاته، ١٣٧.

(٥) السلطان الغازي سليم الأوّل القاطع (بالتركية العثمانية: غازى ياوز سلطان سليم خان أول؛ وبالتركية الحديثة: Yavuz Sultan Selim Han I أو I. Selim) هو تاسع سلاطين بني عثمان.
https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%AB

(٦) بيري محمد باشا (التصنيف الصدر الأعظم لسليم الأول،باشا: هو الصدر الأعظم في الدولة العثمانية منذ عام ١٥١٨م وحتى عام ١٥٢٣م. كان من أهم السياسين في الدولة العليا العثمانية. وهو أعلى منصب تحت السلطان مع السلطة المطلقة له وهو الذي يحمل ختم السلطنة، وسلطة تعيينه وعزله حق للسلطان.
https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%AB

على مجلس الدولة، وكان على البطريرك أن يحضر معه يوم عقد الاجتماع الاستشاري وثيقة الحرية الدينية التي أعطاها السلطان محمد الفاتح للمسيحيين، وجاء البطريرك ومعه الإكليروس يوم الاجتماع ولكن بدون الوثيقة؛ لأن هذه كانت قد احترقت.

لذلك كان لا بد من إحضار اثنين من الإنكشارية، كانا قد اشتركا في فتح اسطنمبول ولا يزالان على قيد الحياة، وذلك للإدلاء بشهادتيهما وللاستماع إلى أقوالهما، وقد رأى السلطان سليم تعارض أمره مع القانون فسحب أمره السابق.

والموقف الإنساني ـ والديني ـ الذي وقفه شيخ الإسلام والصدر الأعظم هو وحده الذي حال يومئذ دون مذبحة بحق المسيحيين.

المطلب الثاني

شيخ الإسلام «أبو السعود»

فرق أبو السعود بين المسيحي الملتزم بتعاليم دينه وبين المتساهل فيها، بل لم يقبل شهادة المسلم المجروح بعدالته تجاه أخيه المسيحي، بل وقف ضد السلطان نصرة لبطاركتهم.

ففي نظر شيخ الإسلام «أبو السعود» فإن مقام المسيحيين الورعين، الذين يواظبون على الذهاب إلى الكنيسة، فوق مقام الذين لا يذهبون، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود الذين يتبعون تعاليم ديانتهم والذين لا يتبعونها؛ ويروى عن «أبو السعود» أنه سئل: هل يمكن قبول شهادة يهودي في مسيحي؟ فأجاب: نعم إذا كان حقاً يتبع مبادئ ديانته وكان فاضلاً.

وبهذا المعنى لم يكن يسمح لمسلم سيء السمعة، أن يكون شاهداً على غير مسلم في المحكمة، أو أن يؤخذ بأقواله حوله. وذلك بناء على فتوى شيخ الإسلام «أبو السعود» أنه: لا يمكن الأخذ بشهادة وأقوال مسلم سيء السمعة حول غير مسلم.

وفي سنة ١٧٠٣م عاقب الصدر الأعظم بطريرك الأرمن «أفيتيس» وأحضر

إلى السجن؛ لأنه أساء معاملة مواطنيه الكاثوليك، ولم يطلق إلا بعد تدخل شيخ الإسلام وشفاعته.

وكان علماء الأديان من غير المسلمين ينظر إليهم باحترام مثل علماء المسلمين ولم يكن مسموحاً الإساءة إليهم طالما هم يعيشون في دار الإسلام، وكانت أية إساءة لهم تعتبر انتهاكاً للقوانين الإنسانية والإلهية[١]. ويكفي أن نعلم أن استرقاق الطوائف بأشنع صورة كان نظاماً دولياً متعاهداً عليه في أوروبا الوسطى والجنوبية إلى أن قضى عليه العثمانيون الذين مُكن لهم بالعدل والرحمة الإسلامية[٢].

ولأهمية دور العلماء في حقيقة الإصلاح عمل المتضررون من أثرهم الإيجابي على تجفيف منابع قوتهم، من خلال إلحاق الوقف بالدولة؛ لأن ريعه كان يُرْصَد لتقوية طبقة العلماء، فأنشأوا بعد عام ١٨٢٦ مديرية خاصة بالأوقاف ما لبثت أن حُوِّلَت إلى وزارة[٣]. وقد بسط القول في هذا الشأن الصديق د. محمد الشوم في بحثه المقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف في جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٢٧هـ، تحت عنوان: «كتمان الوقف واندثاره»[٤].

المبحث السادس

المسيحيون بين نابليون (١٢٣٧هـ) ومحمد علي باشا (١٢٦٥هـ)

قضت فرنسا على الروح الوطنية في مصر أيام العثمانيين، كما فعل الغرب اليوم في عدم حفظ أول إنتخابات ديمقراطية على مستوى الرئاسة منذ

(١) مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، كيدو، ١٣١ ـ ١٣٢.
(٢) المسألة الشرقية، الشاذلي، ١٠٧.
(٣) العرب والعثمانيون، رافق، عبد الكريم، دمشق، ط١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
(٤) دراسات في الوقف الإسلامي، الشوم، د. محمد قاسم، بيروت، دار القبس، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٥٤٠.

فجر التاريخ؛ بغضّ النّظر عن انتماء الرئيس المصري د.محمد مرسي القابع في سجن ديمقراطية العدالة الأمريكية المعاصرة.

ومن مظاهر القضاء على عمق المواطنة المصرية التنكر لأهل الفضل في الدولة العثمانية الذين مارسوا كل أشكال العدل من إنصاف وحق وإحسان وفداء ومساواة. . ، مع الأقباط كما اليهود، أنّ فرنسا استعْدَت فريقاً منهم ضدّ وطنهم الذي ميزهم عن بقية أبنائه فغرس في نفوسهم اللغة الطائفية التي أراقوا باسمها دماء إخوانهم الذين قدَّموهم على أنفسهم بأعلى الوظائف وأرقى المناصب سياسياً واجتماعياً، حيث حملوا السلاح مع نابليون وأعوانه بوجه الوطن الذي أعطاهم حياته.

علماً أنّ الأقباط في الخطاب الإسلامي هم مصدر القوة في مواجهة الباطل ومناهضة العدو القادم. فكانوا محل ترحابٍ وثناء منذ صدر الإسلام؛ ولا زالوا، رغم تلاعب الساسة بمواقفهم وخياراتهم.

بل إنّ أثر فرنسا تجاوز المسيحيّين ليصل إلى رمز المسلمين المتمثّل آنذاك بمحمد علي باشا الذي حوَّلَ مشروع نابليون الإحتلالي من أمنية إلى حقيقة.

نجح الفرنسيون أيام نابليون في استثارة العناصر القبطية المسيحية على معاونة الحملة بمختلف الوسائل(١)، حتى أسرفوا في تأييدهم إسرافاً وصل إلى حد تكوين فرق عسكرية من طائفة الأقباط، تزعمهم «المعلم يعقوب حنا»(٢) الذي منح لقب آغا ثم لواء ثم القائد العام للفيالق القبطية بالجيش الفرنسي(٣)، إنها عنوان الفتنة الطائفية(٤).

---

(١) تاريخ الفكر المصري الحديث، عوض، لويس، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١: ١٨٠ ـ ١٨٨.

(٢) المعلم يعقوب أو الجنرال يعقوب أحد الشخصيات التي دار حولها جدل كبير في التاريخ المصري.
https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title= %D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%AB

(٣) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الشناوي، عبد العزيز، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ٢: ٩٨٣.

(٤) قراءة جديدة في تاريخ الدولة العثمانية، بيومي، زكريا، عالم المعرفة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ١٤٤.

وبعد احتلال نابليون بقية مدن مصر، وحينما وصل إلى عكا أصدر بياناً إلى يهود العالم مطلقاً عليهم اسم «الورثة الشرعيين لفلسطين» لإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، ألا يكشف ذلك عن علاقة وثيقة بين نابليون الذي تستر بالإسلام، واليهود الذين خططوا وقاموا بما تسمى الثورة الفرنسية[١].

وسار على نهجهم محمد علي فأحاط بنفسه بطانة ومساعدين من نصارى الأروم والأرمن وكتبة من الأقباط واليهود، حيث يقول الجبرتي (١٢٣٧هـ): فتح بابه للنصارى من الأروام والأرمن فترأسوا بذلك وعلت أسافلهم كما أنه كان يحب السيطرة والتسلط ولا يأنس لمن يعارضه[٢].

لقد كان الجبرتي معاصراً لسياسة الظلم التي مارسها محمد علي على الشعب المسلم في مصر ففتح الباب الإقتصادي على مصراعيه للأوربيين فهيمنوا عليه[٣]، وأوقف مناهج التعليم القائمة على الدين تنفيذاً لسياسة نابليون، وهو أمر أكده المؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي[٤] في قوله: كان محمد علي ديكتاتوراً أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر.

---

(١) الدولة العثمانية، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، عبد الهادي، د. جمال.. دار الوفاء، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٨٦.

(٢) عجائب الآثار، الجبرتي، ٤: ١٥٠.

(٣) قراءة جديدة في التاريخ العثماني، بيومي، د. زكريا، ص١٨٠، تاريخ الشرق العربي، عمر عبد العزيز عمر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٣٢٢.

(٤) أرنولد جوزف توينبي ولد في ١٤ أبريل ١٨٨٩ في لندن وتوفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٥. أهم أعماله دراسة للتاريخ، وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين. وُلِدَ أرنولد لعالمية الأولى. أشرف على رسالة شفيق غربال لنيل الماجستير وكانت بعنوان "بداية المسألة المصرية وظهور محمد علي". وعرض المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي نظريته عن التحدي والاستجابة في كتابه دراسة التاريخ (١٩٣٤- ١٩٦١م).

https: //ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%-D8%A8%D8%AD%D8%AB

الخاتمة

وهنا نستغرب من أهل الفكر والمعرفة أياً كان انتماؤهم الثقافي والديني كيف يرفعون لواء مظلومية الأقباط والمسيحيين في الحكم الإسلامي عموماً والعثماني خصوصاً، في الوقت الذي استبعد فيه المسلم عن كثير من الوظائف وبالمقابل تميَّز القبطي والمسيحي بمناصب ومواقع متقدمة في الدولة والمجتمع.

ثم نستهجن لتعميم أخطاء بعض الحكام والخلفاء والآراء تجاه الأقباط، في الوقت الذي تأذى المسلمون من حكامهم أضعاف مضاعفة دون الإشارة لمأساتهم ورفع مظلوميتهم، في حين أن المسيحي القبطي يعامل بأعلى مراتب الإحسان، ولذا نقف عند النقاط الآتية:

العدل قانون إلهي، وكوني، وطبيعي، ووضعي، وفطري، وأخلاقي. به يحفظ الإنسان وتبنى المجتمعات وتقام الدول؛ بتوازن وضبط وإحكام.

الإنسان من غير عدل فاقد لقيمته الإنسانية، وبالتالي يدخل في عالم الحيوان غير الناطق الذي يحيا على منطق القوة المجردة من أي حقوق متبادلة.

السلطة البعيدة عن مقصد العدل تتحول إلى عصا تسلطية على أبجديات الحرية المجتمعية، فتكون أرض بَوَار تنمو فيها كل أعشاب الشر والظلم والاستبداد.

العمر الزمني الطويل للدول مقياسه العدل بكل أنواعه، فهو المؤشر على الديمومة والبقاء لأي شريحة سياسية أيّاً كان مَعِينُها الفكري والديني.

تميز القادة العثمانيون بروح العدالة تجاه الموافق والمخالف، ولذا نما التسامح في العلاقات الاجتماعية بين كل مكونات الوطن.

الناس على دين ملوكهم، يضمن ولاؤهم، ويستثمر ولاؤهم، وفق عدلهم وإنصافهم.

التكامل بين العلماء والحكام هو اللبنة الأساسية لقوة الدولة ورقيها الفكري والعلمي والحضاري. وبالتالي حب السلطة بالوازع البشري لا يُقَوِّمه

ويرشده إلا العقل، فالحاكم بلا عقل؛ أي بلا أهل العلم؛ كالمجنون يتلاعب به الصبية، وبذا يتلاعب به أهل الهوى والمنافع الخاصة والمصالح الذاتية مذهبياً وطائفياً.

الوجود المسيحي في أروقة الدولة العثمانية وعلى المستوى القيادي، دليل واضح على روح التسامح وحقيقة المساواة، بل هوعنوان المواطنة الكاملة بين أبناء المجتمع الواحد.

برز الاستبداد والظلم بكل أشكاله في العهد العثماني عندما استحكم أبناء غير المجتمع من خارجه على مقدرات الدولة الاقتصادية والعلمية.

العدل مصدر الحياة لأي سلطة سياسية، وهو عنوان الحفاظ على مدنية الطبع البشري وفق فطرته الخِلْقِيَّة والخُلُقِيِّة، وإلا حصل التنافر والتقاتل المؤدي لهدم كل فضيلة في حياة الإنسان والأوطان، ولذا قال مسكويه (٤١٦هـ):

«وجب بشريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة التي من أجلها قال الحكماء: إن الإنسان مدني بالطبع.

وهذه المعاونات والضرورات المقتسمة بين الناس، التي بها يصح بقاؤهم، وتتم حياتهم، وتحسن معايشهم، هي أشخاص وأعيان من أمور مختلفة، وأحوال غير متفقه، وهي كثيرة غير متناهية.

وأنه لا يعيش متوحداً كما تعيش الطير والوحش لأن تلك مكتفية بما خلق لها من الرياش والهداية إلى مصالحها وأقواتها، والإنسان عار لا طاقة له ولا هداية إلى قوته ومصلحته إلا بالاجتماع والتعاون؛ هو المدنية.

وانتشار العدل بينهم بقوة السلطان الذي ينظم أحوالهم ويحفظ مراتبهم ويرفع الغوائل عنهم»[١]. وإلى هذا المعنى الدقيق حول قانون المدنية للحياة بالطبع البشري ذهب كبار العلماء، ومنهم: ابن قتيبة الدينوري

---

(١) الهوامل والشوامل، ابن مسكويه، أحمد بن محمد، ١/١١٤، ٣٢، ٢٨٥، تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، ١/٩٨، ١٢، مقدمة ا بن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد، بيروت: دار إحياء التراث العربي١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٤.

(٢٧٦هـ)[١]، وأبي حيان التوحيدي (٤١٤هـ)[٢]، والراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)[٣]، وابن عربي (٦٣٨هـ)[٤]، والرازي (٦٠٦هـ)[٥]، وابن تيمية (٧٢٨هـ)[٦]، وابن القيم (٧٥١هـ)[٧]، وشيخي زاده (١٠٨٧هـ)[٨]، وابن عاشور(١٣٩٣هـ)[٩].

ويبقى أن العالم اليوم مدعو بكل نسائم إنسانيته إلى صبغ حياته بلغة العدل دون استثناء أي حرف من حروفها التي تكوّن مشروع الحياة المُكرِّم لكل بني الإنسان، أيّاً كان عرقه وجنسه، وفكره ودينه.

وإلا عمَّ الظلم، وحلَّ الموت رغم حياة الجسد؛ بكل صُوَرِهِ القاتمة وألوانه المتوحشة بحبر الإلغاء والظلام والجهل والتَنَكُّرِ لصفاء الفِطَر وسلامة الفِكَرِ وهدي فاطر السماوات والأرض.

ألم يستَعِدِ العالم اليوم صورة الإنسان المستعلي والمستبد والقاتل منذ بداية الخليقة لمَّا قتل قابيل هابيل، أليس جدير بنا في منطق العمران البشري أن نقيم العدل في حياتنا الفردية والجماعية، لنحفظ النوع الإنساني بأن نقبض أيدينا عن الظلم ونبسطها إلى العدل، قال تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨].

(١) غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، ٢٨.
(٢) الصداقة والصديق، التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد، ١.
(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ٦٥.
(٤) تفسير ابن عربي، ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي، بيروت: دار الكتب العلمية١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٢/ ٣٠٣.
(٥) مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، محمد بن عمر، بيروت: دار إحياء التراث العربي١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ٦/ ٥١٥، ٢٦/ ٣٩٦، ٢٧/ ٥٣٢، ٢٩/ ٤٧٥.
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية، أحمد، بيروت: دار الفكر١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ٢٨/ ٦١. الحسبة، ابن تيمية، ١.
(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بيروت: مؤسسة الرسالة١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ٣/ ١١.
(٨) مجمع الأنهرفي شرح ملتقى الأبحر، شيخي زاده، عبد الرحمٰن بن محمد، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢/ ٣٤٥.
(٩) التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس: دار سحنون١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ٢٢/ ١٢٤، ٣٣٠، ٢٤/ ١٨٣.

فهرست المصادر والمراجع

١ ـ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: زينب القاروط، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢ ـ ابن الحجاج القشيري، مسلم (٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصرمن السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، المعروف(صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤ ـ ابن تيمية، أحمد (٧٢٨هـ)، مجموع فتاوى ابن تيمية، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الحسبة، ابن تيمية.

٥ ـ ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (٧٣٣هـ)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق: د. فؤاد أحمد، قطر: دار الثقافة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦ ـ ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧ ـ ابن حمدون، محمد بن محمد (٤٥٥هـ)، التذكرة الحمدونية.

٨ ـ ابن حنبل، أحمد (٢٤١هـ)، مسند أحمد، مصر: المطبعة الميمنية.

٩ ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، مقدمة ا بن خلدون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠ ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، مقدمة، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١١ ـ ابن عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٢ ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م.

١٣ ـ ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي (٦٣٨هـ)، تفسير ابن عربي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤ ـ ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، غريب القرآن،

١٥ ـ ابن مسكويه، أحمد بن محمد (٤٢١هـ)، الهوامل والشوامل.

١٦ ـ ابن هشام، عبد الملك (٢٠١٣هـ)، السيرة النبوية، بيروت: دار الجيل.

١٧ ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

١٨ ـ أبو غنيمة، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٩ ـ أبو غنيمة، زيادة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٠ ـ الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (١١٨٠هـ)، موسوعة مصطلحات جامع العلوم الملقب «دستور العلماء»، تحقيق: د.علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢١ ـ أرسطو (٣٢٢ق.م)، الأخلاق النيقوماخية، ترجمة: د. أبو بكر التلوع، ليبيا: منشورات جامعة الجبل الغربي، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٢ ـ الأزهري، محمد بن أحمد (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣ ـ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان سلمان، استانبول: نشر مؤسسة فيصل للتمويل، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٤ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصرمن أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف (صحيح البخاري)، تحقيق: د. مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٥ ـ بيرسون، لوك، معجم أفلاطون، ترجمة: منى الشاعر، بيروت: النايا للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.

٢٦ ـ البيهقي، أحمد بن الحسين(٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٧ ـ بيهم، محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني. بيروت: ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

٢٨ ـ بيومي، د.محمد علي فهيم، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

٢٩ ـ بيومي، زكريا، قراءة جديدة في تاريخ الدولة العثمانية، عالم المعرفة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٠ ـ التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد (٤١٤هـ)، الصداقة والصديق.

٣١ ـ الثعالبي، عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ)، تحفة الوزراء، تحقيق، د.سعد أو دية، الأردن: دار البشير، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٢ ـ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثارفي التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل.

٣٣ ـ الجبرتي، عبد الرحمن(١٢٣٧هـ)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار. بيروت: دار النفائس.

٣٤ ـ الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب،ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٥ ـ الجرجاني، علي بن محمد(٨١٦هـ)، شرح المواقف، مصر: مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

٣٦ ـ الجندي، أنور، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، بيروت: دار ابن زيدون، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٣٧ ـ الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله (٤٧٨هـ)، غياث الأمم في التياث الظلم، وضع حواشيه: خليل منصور بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٨ ـ حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٩ ـ الحميد، عبد اللطيف، سقوط الدولة العثمانية، دراسة تاريخية في العوامل والأسباب، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٠ ـ دهيش، د. عبد اللطيف، قيام الدولة العثمانية، مكة: مطبعة النهضة الحديثة، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤١ ـ الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٤٢ ـ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم.

٤٣ ـ رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٤ ـ الرشيدي، سليم، محمد الفاتح، جدة: الإرشاد، ط٣، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٤٥ ـ رضا، محمد رشيد (١٣٦٩هـ)، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، بيروت: دار القلم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٦ ـ الزمخشري، محمد بن عمر(٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار.

٤٧ ـ الزهراني، علي بن نجيب، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، مكة: دار طيبة، الشارقة: دار آل عمار، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤٨ ـ زيدان، عبد الكريم، نظام القضاء في الشريعة.

٤٩ ـ السباعي، مصطفى (١٣٨٤هـ)، من روائع حضارتنا، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٠ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (٩١١هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.

٥١ ـ السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال (٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م.

٥٢ ـ الشاذلي، محمود، المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية. مكتبة وهبي، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٩م.

٥٣ ـ شرح السير الكبير، مصر: مطبعة مصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٥٤ ـ الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، ١٤٩١هـ/ ١٩٨٠م.

٥٥ ـ الشوم، د. محمد قاسم، دراسات في الوقف الإسلامي، بيروت: دار القبس، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٥٦ ـ شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمد (١٠٧٨هـ)، مجمع الأنهرفي شرح ملتقى الأبحر ومنبع، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥٧ ـ الصفدي، خليل بن أيبك (٧٦٤هـ). الوافي بالوفيات.

٥٨ ـ الصلابي، علي محمد، العدالة من المنظور الإسلامي، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م.

٥٩ ـ الصلابي، محمد علي، العدالة من المنظور الإسلامي، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٦٠ ـ صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، إيران: سليمانزاده، منشورات ذوي القربى، ط١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٦١ ـ طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى(٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، بيروت: دار المكتب العلمية، ط ٨، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٢ ـ عبد العزيز، عمر، تاريخ الشرق العربي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٦٣ ـ عبد الهادي، د. جمال، الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، دار الوفاء، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦٤ ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (٤٠٠هـ)، الفروق، تقديم وضبط: د. أحمد الحمصي، طرابلس: جروس برس، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٦٥ ـ العمري، د.عبد العزيز، الفتوح الإسلامية عبر العصور، الرياض: دار اشبيلية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٦ ـ عوض، لويس، تاريخ الفكر المصري الحديث، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٧ ـ غارودي، روجيه (١٤٣٤هـ)، الأساطيرالمؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة حافظ الجمالي وصباح الجهيم، بيروت: دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٦٨ ـ الفارابي، المعلم الثاني أبو نصر محمد بن محمد (٣٣٩هـ)، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، مصر: دار مصر المحروسة، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٨م.

٦٩ ـ فريد بك، محمد، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، ط٦، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٠ ـ القاضي عياض، عياض بن موسى (٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٧١ ـ كيدو، أكرم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة: د.هاشم الأيوبي، لبنان: منشورات جروس برس، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧٢ ـ الماوردي، علي بن محمد (٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٣ ـ المزي، يوسف بن عبد الرحمن (٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال، بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م.
٧٤ ـ مسكويه (٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق.
٧٥ ـ نجيب الدين، د.عدنان، مسألة الشر في فلسفة بول ريكور، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط٢، ١٤٩٢هـ/٢٠٠٨م.
٧٦ ـ النسائي، أحمد بن علي (٣٠٣هـ)، سنن النسائي الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٧٧ ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر(٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٧٨ ـ الواقدي، محمد بن عمر(٢٠٧هـ)، المغازي.

